

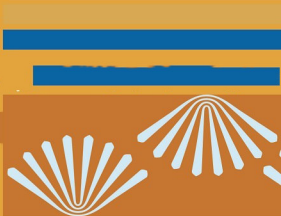


انجمن علمی مطالعات نهج البلاغه ایران
الجمعية العلمية لدراسات نهج البلاغة في إيران

دانشگاه پیام نور

فصلية علمية - محكمة نصف سنوية

دراسات حديثة في نهج البلاغة



ISSN:2476-4671

مؤشرات الغاية الأخلاقية في مذهب علي (ع) الأخلاقي

محمد هادي أمين ناجي^١، مصطفى دلشاد طهراني^٢، ناصر محمد علي^٣، فاطمه سعيدي^٤

تاريخ القبول: ١٤٤٠/٠٣/٠٥

تاريخ الاستلام: ١٤٣٨/١٢/١٢

١. أستاذ مشارك في فرع علوم القرآن والحديث، جامعة بيام نور في طهران، aminhadi94@gmail.com

٢. أستاذ مساعد في فرع نهج البلاغة، جامعه القرآن الكريم والحديث الشريف بمدينة ري؛ delshadtehrani@gmail.com

٣. أستاذ مشارك في فرع الفلسفة واللاهوت، جامعة بيام نور في طهران؛ naser_mohamadi@pnu.ac.ir

٤. دكتورة في علوم ومعارف نهج البلاغة جامعة بيام نور (الكتابة المسؤولة)؛ f.saeedi40@yahoo.com

Indicators of Ethical Finalism, the Moral School of Imam Ali (AS) in Nahj al-Balaghah's

Mohammad Hadi Amin Naji¹, Mostafa Delshadtehrani², Naser mohammadi³, Fatemeh Saeedi⁴

Received: 3 September 2017

Accepted: 13 November 2018

1. Associate Professor of Payame Noor University; aminhadi94@gmail.com

2. Assistant Professor of Nahj al-Balaghah Department of Quran University and Hadith Shahri; delshadtehrani@gmail.com

3. Associate Professor of Philosophy and Theology, Payame Noor University; naser_mohamadi@pnu.ac.ir

4. Ph.D. in Science and Education Nahj al-Balaghah, Payame Noor University; f.saeedi40@yahoo.com

Abstract

Nahj-ul-Balagha and its invaluable teachings have a moral position. All the speeches of Imam Ali in different domains are based on ethics and reasoning. Attention to the end and the results of ethics is expressed in a number of ways in Nahj-ul-Balagha. Also, teleology is one of the normative ethical theories that search for the criterion of value and moral obligation in the results of an ethical practice. In the moral school of the Imam, among the indicators of teleology are: and indicators of finalism (teleology) consist of relationship between moral codes, the fruits that are due to the necessity of doing things and the necessity of those acts and exhortations, including auditing and the existence of rewards for action. On the one hand, with the existence of ethical finalism propositions in Nahj-ul-Balagha, it has never been used to gain more profit from wrong ways. In this article, employing a descriptive method, the factors mentioned in the speeches of the Imam have been studied from the perspective of Nahj-ul-Balagha.

الملخص

يعتبر نهج البلاغة وتعاليمه السامية ساحة أخلاقية. وتستند جميع كلمات الإمام علي (ع) في مختلف المواقف إلى جوهر الأخلاق والعقل. وقد أثبتت قضايا الاهتمام بالغاية ونتائج الأمور الأخلاقية في العديد من الحالات من نهج البلاغة. وبالنظر إلى أن الغاية الأخلاقية هي من النظريات الأخلاقية المعيارية التي تبحث عن معيار القيم الأخلاقية في نتائج الفعل الخلقى، ومن خلال التحقيق في المدرسة الأخلاقية للإمام نلاحظ أن توجد للغاية مؤشرات يمكن أن ترتبط بوجود العلاقة بين الواجبات الأخلاقية وثمار أفعال الواجبات وضرورة تلك الأفعال والنزعة الأخروية التي تشمل التدقيق في الاعمال والثواب والعقاب.

ومن ناحية أخرى، مع المفاهيم الأخلاقية الغائية في نهج البلاغة، لم يلجأ الإمام أبداً لأية مخالقات لكسب المزيد من الأرباح. في هذه المقالة، سنستعين بالمنهج الوصفى لفحص العوامل المذكورة في كلام الإمام علي (ع) من وجهة نظر نهج البلاغة.

Keywords: Ethical Finalism (teleology), Alawi Ethic, Nahj-ul-Balagha, Normative Ethics.

الكلمات المفتاحية: الغائية الأخلاقية، الأخلاق العلوية، نهج البلاغة، الأخلاق المعيارية.

١. المقدمة

الأخلاق المعيارية إلى ثلاث فئات هي: النظريات الموجهة نحو المهام، النظريات الغائية ونظريات الفضيلة. على الرغم من الآراء العديدة المعبر عنها في مجال الأخلاقيات المعيارية، وبما أن أسس النظرية الأخلاقية فعالة في تشكيل قيم وأداء الأفراد في المجتمع وتشكيل أسس النظام السلوكي للأفراد في المجتمع، فإن إحدى المشكلات الموجودة في المجتمعات الإسلامية اليوم، تتمثل في عدم وجود أو ضعف الأخلاق التي تتوافق مع التعاليم القرآنية والنبوية والعلوية، والتعاليم العلوية والسلوكيات الأخلاقية العلوية هي تجسيد للتعاليم القرآنية والنبوية، وفي هذا المقال، قمنا بدراسة مؤشرات الغائية الأخلاقية في مدرسة علي (ع) الأخلاقية، وبعد دراسة هذه المؤشرات، يمكن للمرء أن يجد معايير الغائية الأخلاقية استناداً إلى تعاليم نصح البلاغة.

٢.١. خلفية البحث

يشير مصطلح الغائية (Teleology) إلى النهاية والمصير، وبصفة عامة، يعني هذا المصطلح النية والسعي نحو الهدف والنزعة نحو هدف معين (جيكوبز، ١٣٩٦: ١٣٠). تقدم وجهة النظر الأخلاقية هذه المعيار الأساسي للفعل الصحيح وغير الصحيح والإلزام من حيث الأخلاق ومقدار النوايا الحسنة أو التغلب النسبي للخير على الشر (فرانكنا، ١٣٩٢: ٤٥)، ويجب القيام بشيء له تأثير إيجابي أكبر (جنسلر، ١٣٨٧: ٢٥٢).

وفقاً لقيود البحث، من بين نظريات الأخلاقيات الغائية، قمنا باختيار الأخلاقيات الموجهة نحو الربح كمحور لهذه الدراسة.

١.٢.١. النفعية

تؤمن النفعية أن قيمة نتائج الأعمال حاسمة لصحتها وخطأها (هولمز، ٢٠٠٦: ٢٧٠)، ويجب أن يوفر السلوك الإنساني فوائد أو رفاهية أولئك الذين يتأثرون به (لورانس، ٢٠٠١: ٣١) في هذه المدرسة، تبرر الغاية الوسيلة (مونر، ٢٠٠٦: ٧٨)، لأن ما يهم في هذا المنظور هو تعظيم الخير، والأفراد والعلاقات الإنسانية لها دور توديه في تحقيق الهدف، وفائدتهم هي أداة وليست

الأخلاقيات هي إحدى القضايا المهمة التي تؤثر على اتجاه الحياة البشرية في جميع جوانب الحياة الفردية والاجتماعية. فيؤمن الإمام علي (ع) أن الأخلاق الحميدة والجديرة هي الوحيدة التي يجب التمسك بها وعدم التخلي عنها، وفي مدرسة علي (ع) الأخلاقية (ع) يتم إيلاء الاهتمام بنتائج الأمور وغاياتها ولا يتم إهمال عواقب الأمور. ولكن في وجهة النظر الأخلاقية للإمام علي (ع) فإن جميع الأفعال الأخلاقية لها غاية ونهاية ويتلقى كل إنسان عواقب ونتائج شؤونه الأخلاقية: «حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ وَ الْأَمْرُ مَقَادِيرُهُ وَ الْحَقُّ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ وَ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا يُرِيدُهُ مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ» (الخطبة ١٠٩).

وبالتالي، من خلال تعريف غاية الوجود التي يتحرك الإنسان نحوها، يأمر الإمام علي (ع) بالتخلي بالخصال والفضائل الأخلاقية قائلاً: «فإِنِّي أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ وَ إِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ وَ بِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ وَ إِلَيْهِ مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ وَ نَحْوَهُ قَصْدُ سَبِيلِكُمْ وَ إِلَيْهِ مَرَامِي مَفَرِّعُكُمْ» (الخطبة ١٩٨).

في مدرسة علي (ع) الأخلاقية تعد مسألة الغائية الأخلاقية إحدى القضايا التي تجعل الهدف النهائي للحياة هاماً بالنسبة للبشر وتؤثر على مدى حسن الأخلاق وسوءها والممارسات في الحياة: «أَلَا وَ إِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَ لِكُلِّ مِنْهُمَا بُنُوءٌ فَكُونُوا مِنْ أَتْبَاءِ الْآخِرَةِ وَ لَا تَكُونُوا مِنْ أَتْبَاءِ الدُّنْيَا فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأَمِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (الكلام ٤٢). إذاً فإن الغائية الأخلاقية هي من مؤشرات المدرسة الأخلاقية للإمام (ع) والتي أشير إليها في نظام الوجود وعلم سلوكيات الإنسان في مواضع مختلفة من نصح البلاغة.

١.١. إشكالية البحث

الأخلاق المعيارية هي أحد فروع الفلسفة الأخلاقية^(١). في الأخلاق المعيارية، يتم تحديد وتوضيح أهم القواعد الأخلاقية فيما يتعلق بالحق والباطل أو الخير والشر (هولمز، ٢٠٠٦: ٤١ - ٤٢) ووفقاً لمعايير تحديد الخير والشر والتشخيص المناسب للصالح من الخطأ، تقسم

المؤشرات لمعرفة غائية الأخلاق في نهج البلاغة والتي يمكن ذكرها على النحو التالي:

١.٢. العلاقة بين الوجود والواجبات الأخلاقية^(٢)

في منظور الأخلاق الغائية، تنشأ الأخلاق من الوجود. في باب القضايا الأخلاقية، فإن الأنطولوجيا، وعلم الكونيات، والأنثروبولوجيا، وما إلى ذلك، هي مجموع العلوم والحقائق التي توفر أساساً لاستدلال النظريات الأخلاقية؛ لكن قد لا يتمكن العقل من استنتاج حقيقة بعض الواجبات والمحظورات لوحده وينبغي عليه الاستعانة بالوحي والقانون، ويكمن سبب فلسفة وجود الأديان والمذاهب وراء عدم قدرة العقل على استنتاج حقيقة بعض الواجبات والمحظورات (معلمي، ١٣٨٠: ٢٨٢). في مصادر مختلفة من نهج البلاغة، أكد الإمام علي (ع) على العلاقة بين الوجود والواجبات الأخلاقية. وفي مجال الأنثروبولوجيا، ونظراً لأهمية معرفة الإنسان فيجب دراسة الواجبات والمحظورات الأخلاقية.

٢-١-١- الوجود والواجبات الأخلاقية في الجانب المادي للإنسان

في مفاهيم كثيرة من نهج البلاغة أشير إلى الوجود المادي^٢ للإنسان: «أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ وَ الْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ وَ مُضَاعَفَاتِ الْأَسْتَارِ. بُدِئْتَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ وَ وُضِعْتَ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ وَ أَجَلٍ مَقْسُومٍ». (الخطبة ١٦٣) و «مَسْكِينُ ابْنِ آدَمَ مَكْتُومُ الْأَجَلِ مَكْنُونُ الْعِلَلِ تَحْفُوظُ الْعَمَلِ تُؤْلِمُهُ الْبَقَّةُ وَ تَقْتُلُهُ الشَّرْقَةُ وَ تُنَبِّئُهُ الْعَرْقَةُ» (الحكمة ٤١٩).

وإلى جانب الوجود المادي للإنسان، فقد أشار الإمام علي (ع) كذلك إلى الواجبات الأخلاقية: «إِيَّاكَ وَ مُسَامَاةَ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ وَ التَّشَبُّهُ بِهِ فِي جَبَرَوْتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ وَ يُهَيِّئُ كُلَّ مُتَحَدٍّ». (الرسالة ٥٣) لأنه لا يوجد إنسان، على الرغم من أنه مخلوق، يستحق أن يأخذ لنفسه مرتبة إلهية بعين الاعتبار. إن من ينتهك حرمة العبودية ويعتبر أن لنفسه شأنًا إلهيًا ويحاول جذب الناس لنفسه واستعبادهم، فقد سقط في بحر العصيان غافلاً عن مدى حقارته، ووقع في شرك الغرور (دلشاد طهراني، ١٣٩١: ٨٥) ومن هذا المنطلق، ينصح الإمام

بالأمر الذاتي (محمد رضائي، رضائي، ١٣٩٣: ٥٩). للنفعية أقسام مختلفة، يمكن الإشارة إليها من جانبين من نفعية الفعل ونفعية القاعدة.

١.١.٢.١. نفعية الفعل^١

تؤمن نفعية الفعل أنه من خلال اللجوء المباشر إلى مبدأ الربح، يمكننا تعيين الحق أو ضرورة الشؤون. هذا الرأي لا يسمح باستخدام أي قواعد أو تعميمات للتجارب السابقة، ويصر على أنه في جميع الحالات، يجب قياس وحساب الآثار المترتبة على جميع الإجراءات التي لدينا من أجل الرفاهية العامة والغالبية العظمى من الفوائد (فرانكن ١٣٩٢: ٨٧ - ٨٨).

١.٢.١. نفعية القاعدة^٢

تؤمن نفعية القاعدة بأنه يجب تقدير النتائج من حيث الأشياء الخيرة المختلفة، مثل الفضيلة، والمعرفة، والسرور، والحياة، والحرية، ويجب أن نفعل ما أوصت به القواعد التي إذا حاول الناس في المجتمع متابعتها، فإن أفضل النتائج سوف تتحقق (جنسلر، ١٣٨٧: ٢٦٤).

بالإضافة إلى النظريات المذكورة أعلاه، فإن الدراسات التي أجريت حتى الآن قد تمحورت حول موضوع الغائية الأخلاقية وقضاياها في المنظور الديني، على سبيل المثال، يمكن أن نشير إلى «غائية الوجود والإنسان في المجالات المعرفية» لعلي رنجبر حقيقي؛ و «شرح مسألة العواقبية والالتزام في التعاليم الإسلامية» بقلم محسن شيرواند و مختار رنجكش؛ «الآثار الأخلاقية في التصوف الإسلامي» بقلم محمد تقى إسلامي؛ "العواقبية" بقلم مكناتون؛ ترجمة سعيد عدالت نجاد؛ "أنواع مختلفة من النفعية" لشيرزاد بيك حرفة. وهكذا، فإن موضوع "مؤشرات الغائية الأخلاقية في نهج البلاغة" لم يخضع للدراسة على وجه التحديد، وهذا هو محور هذا البحث وما يميزه عن الأبحاث الأخرى.

٢. مؤشرات الغائية الأخلاقية في المدرسة الأخلاقية لأُمير المؤمنين (ع)

في مدرسة علي (ع) الأخلاقية تم تقديم العديد من

الفطرة الإلهية (جوادى آملى، ١٣٨٤ : ٤٠ و ٤٨) فيقول الإمام علي (ع) في وصف الإنسان أيضاً: «وَأَعْلَمَ يَا بُنَيَّ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِالْآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا» (الرسالة ٣١).

ويرى الإمام علي (ع) أن الإنسان مخلوق أبدي تستمر حياته إلى ما هو أبعد من الحياة الدنيا ولا ينبغي أن تقتصر قيمته على الدنيا والموارد المادية. وبالتالي، مع العلم أن جوهر الإنسان هو الروح الإلهية، فيجب عليه أن يصل إلى أعلى ذرى للبشرية كإنسان حر وظاهر وغني (ريعي، ١٣٦٠ : ١١٠) ومن هذا المنطلق يشير إلى الضرورات الناشئة عن الوجود المعنوي للإنسان فيقول: «فَكُونُوا مِنْ أَتْنَاءِ الْآخِرَةِ وَ لَا تَكُونُوا مِنْ أَتْنَاءِ الدُّنْيَا فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأَبِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ إِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَ لَا حِسَابَ وَ عَدَا حِسَابَ وَ لَا عَمَلٍ.» (الكلام ٤٢) «و إِنَّهُ لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةُ فَلَا تَبِيعُوهَا إِلَّا بِهَا» (الحكمة ٤٥٦).

بالتالي فقد تطرق الإمام علي (ع) إلى الواجبات والمحظورات الأخلاقية في مجال الإنسان في نهج البلاغة.

٢.٢. النتائج المترتبة على الأعمال، معيار ضرورتها

لقد أشار الإمام علي (ع) بكلمات مختلفة في نهج البلاغة، إلى بعض ثمار الأفعال واعتبرها معيار الضرورة. بمعنى آخر، نظرًا للعلاقة السببية بين الأفعال وعواقبها، فقد أثبتت قضايا أخلاقية تثبت الغائية في مدرسة الإمام علي (ع) الأخلاقية (معلمي، ١٣٧٩ : ٨٠).

في الرسالة ٥٣ من نهج البلاغة، يخاطب الإمام علي (ع) مالك الأشتر مبيّنًا أن عدم الوفاء بالعهد ذو غايات مؤلمة ويشير إلى ضرورة الوفاء بالعهد في جميع الأوقات: «فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعًا مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ وَ تَشْتَتِ آرَائِهِمْ مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ وَ قَدْ لَزِمَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْعُدْرِ» (الرسالة ٥٣).

ولا يحظى أي من الواجبات والتكاليف التي فرضها الله تعالى على عباده بالأهمية التي يحظى بها الوفاء بالعهد. يعتبر الإخلاص والوفاء ضروريًا في جميع المجتمعات والأمم لأن الله تعالى قد كشف فلسفة هذا الواجب من خلال إظهار العواقب الوخيمة لانتهاكه. من بين دوافع الالتزام بالوفاء في

علي (ع) الإنسان بتجنب محظور أخلاقي آخر يتمثل في الغرور: «مَا لِابْنِ آدَمَ وَ الْفَخْرِ أَوْلُهُ نُطْقَةً وَ آخِرُهُ حَقِيقَةً وَ لَا يَزُوقُ نَفْسَهُ وَ لَا يَذْفَعُ حَقِيقَتَهُ.» (الحكمة ٤٥٤) وبالتالي، يذكر الإمام علي (ع) بالغاية التي تشمل الوجود المادي للإنسان مشيرًا إلى المحظورات الأخلاقية للإنسان فيقول: «وَضَعُ فَحْرَكَ وَ اخْطُطْ كِبْرَكَ وَ اذْكُرْ قَبْرَكَ فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمْرَكَ» (الخطبة ١٥٣).

٢-١-٢. الوجود والواجبات الأخلاقية في الجانب

المعنوي للإنسان

نظرًا إلى أن الإنسان هو خليفة الله على الأرض ولديه ضعف في الجانب الجسماني ويشترك مع الحيوانات في هذا الجانب، فيجب أن يكون له بعد آخر يستحق معه أن يعتبر خليفة لله. يعتبر علي (ع) أن الإنسان اكتسب الإنسانية عند الله تعالى بعد الخلق المادي حيث نفخ الله فيه من روحه: «ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَتَّكَلَتْ فَمَتَّلَتْ إِنْسَانًا ذَا أَذْهَانٍ يُجِلُّهَا» (الخطبة ١).

والإنسان ذو حقيقة ملكوتية وهبة مذهلة تمنحه الكثير من القدرات التي يمكنه تطويرها، وأسمى مظاهر الحق مخلوق يتمتع بجميع المواهب التي تجعله يتعلم الأسماء الحسنى والصفات الربوبية (دلشاد طهراني، ١٣٩١ : ٩٨ - ٩٩).

يقول تعالى: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.» (البقرة / ٣١) حيث ردت الملائكة: «قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ.» (البقرة/٣٢) ثم قال تعالى لآدم: «يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ» (البقرة/٣٣).

وهذا ما جعل الإنسان يستحق سجود الملائكة له: وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (البقرة/٣٤) ويشير الإمام علي (ع) إلى هذه القضية في نهج البلاغة فيقول: «و نَفَحْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَفَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ» (الخطبة ١٩٢).

بالتالي فإن الأصل هو الروح والغريب هو الجسد وهوية الإنسان تتمثل في عنصره الأصلي الذي هو عبارة عن

الأخلاقية هو ضرورة أو حظر بعض الأفعال الأخلاقية على أساس النتائج التي تنتجها للبشر.

٣.٢. الأخروية

في النظرة العالمية للقرآن الكريم، لا يقترب الإنسان من القيامة كل يوم فحسب، ولكن له معادًا في أية لحظة وهو يقترب منه. في هذه النظرة العالمية، لا يتم عزل القيامة من الأصل، على الرغم من أنه قد يُظن للوهلة الأولى أن الأصل والقيامة يقعان على قوس ونشير إلى القيامة على أنها "عالم ما بعد الموت"، ولكن بموقف عميق، وصلنا إلى نقطة ذكية وهي أن كلا القوسين يصلان إلى نقطة واحدة، ويبدأ كل منهما من نقطة واحدة، وكلاهما مظهر من مظاهر الحقيقة. (جوادي آملی، ١٣٨٠، ص ١: ٢١) وجاء «هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ» (الحديد/٣).

ويقول الإمام علي (ع) في تفسير هذه الآية الكريمة: «وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ وَ الْآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ» (الخطبة ٨٥).

إن ذكر المبدأ هو ذكر المعاد، ويتحرك الإنسان كل يوم باتجاه الله. عندما سمع الإمام علي (ع) رجلاً يقول: «إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» قال: «إِنَّ قَوْلَنَا إِنَّا لِلَّهِ إِقْرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِالْمُلْكِ وَ قَوْلَنَا وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ إِقْرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِالْهَلْكَ». (الحكمة ٩٩) ومن هذا المنطلق، في الرسالة ٥٥ من نهج البلاغة، يشير إلى غاية الوجود وتوجيه الأخلاق في الإنسان: «مَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعِ» (الخطبة ٤١).

١.٣.٢. الحساب والثواب والعقاب

إن عالم الآخرة هو عالم جني ثمار الدنيا، ويوم تتجلى فيه الخصال والسلوكيات البشرية، فكل شخص سيتعرض للمساءلة حول الأعمال التي قام بها في الدنيا (موسى زاده، عدلي، ١٣٨٨: ١١٧) من هذا المنطلق، جدير أن يثاب الصالحون ويعاقب الطالحون وهذا هو الوفاء بالعهد والعدل بحد ذاته. لذلك ينبغي أن يكون هناك غاية لكي لا يخلف بالعهد (قرباني، ١٣٨٩: ٣٩١-٣٩٢) «فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلَى فِي حَرْثِهِ وَ عَاقِبَةُ عَمَلِهِ» (الخطبة ١٧٦).

العهد، يمكن للمرء أن يشير إلى وجود ضرورة الأمن والاستقرار في الحياة الاجتماعية التي فرضها الله سبحانه وتعالى كقانون طبيعي في المجتمعات، ومن ناحية أخرى، يعد الوفاء بالعهد من أعلى القيم التي لها جانب إلهي وهو يمثل طاعة الله وانتهاك هذا الفرض عصيان لله (جعفري، ١٣٦٠: ١٩١ - ١٩٢).

أيضًا، في مدرسة أخلاقيات نهج البلاغة لا يعتبر الإمام علاقة الحاكم بالشعب علاقة أحادية الجانب، ولكنه يضعها على المحور الصحيح، ثم يشير إلى الأعمال المترتبة على هذه الحقوق: «فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ وَ أَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ وَ قَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ وَ اعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ وَ جَرَتْ عَلَى أَدْلَالِهَا الشُّنَنُ فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ وَ طُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ وَ يَكْسِتُ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ» (الخطبة ٢١٦).

ويذكر الإمام عواقب انتهاك الحق في الكلام والتعبير عن آثاره غير المرغوب فيها، فيوصي الإنسان بالامتناع عن ارتكاب الباطل: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا النَّاسَ الْحَقَّ فَاسْتَرَوْهُ وَ أَخَذُوهُمْ بِالْبَاطِلِ فَاقْتَدَوْهُ» (الرسالة ٧٩).

في هذا الكلام، تم ذكر مبدأ التقدير العلمي للتاريخ وهو أنه في كل مجتمع، يكون حكام البلد وقادة الجيش، حيث يعتبر كلاهما مصدر القوة ومسؤول الشؤون الإنسانية، مسؤولين عن إدارة الشعب، فإذا منعوا عن الناس الحق الطبيعي لهم، فسوف يلجأ الناس إلى طرق خاطئة للحصول على هذا الحق. ونتيجة لذلك، سيتم تدمير وإيذاء تلك الحكومة والشعب (جعفري، ١٣٨١: ١٥٩/٥).

في مدرسة علي (ع) الأخلاقية يؤدي العمل بمبدأ الحق إلى سعادة البشر: «وَالزَّيْمُ الْحَقُّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَ الْبَعِيدِ وَ كُنْ فِي ذَلِكَ صَابِرًا مُخْتَصِبًا وَاقِعًا ذَلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَ خَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ وَ ابْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَنْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ فَإِنَّ مَعَبَّةَ ذَلِكَ تَحْمُودَةٌ» (الرسالة ٥٣).

ويذكر الإمام علي (ع) نتيجة العمل بالحق فيشجع الإنسان على الالتزام به معتبرًا أن مصيره الجنة في هذه الحالة: «أَلَا وَ مَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى الْجَنَّةِ وَ مَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى النَّارِ» (الرسالة ١٧).

وبالتالي فإن أحد مؤشرات الغائية في مدرسة علي (ع)

الذي يبلغ الريح بالظلم والاعتداء، هو مهزوم وخاسر: «وَالْغَالِبُ بِالشَّرِّ مَغْلُوبٌ» (الحكمة ٣٢٧).

ومن هذا المنطلق، عندما دعاه الأصدقاء الطيبون إلى المرونة في سياساته ووضع حد لقضية المساواة لتحقيق مزيد من الريح، لم يقبل الإمام (ع) القيام بذلك. وبهذه الطريقة، فقد عزز أسس حكمه: «وَاللَّهُ لَأَنْ أَيْتَ عَلَى حَسَاكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّدًا أَوْ أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّدًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِمًا لِبَعْضِ الْعِبَادِ وَغَاصِبًا لِبَشِيءٍ مِنَ الْخَطَا» (كلام ٢٢٤).

وفي عبارة أخرى فإن الإمام علي (ع) يوصي باحترام الأمانة والصدق حتى لو كانت مضرة بالإنسان، وترجيحها على الكذب المربح: «إِلَيَّ يَأْتِي مَنْ أَنْتَ أَهْلُ الْإِيمَانِ أَنْ تُؤْثِرَ الصِّدْقَ حَيْثُ يَضُرُّكَ عَلَى الْكُذِبِ حَيْثُ يَنْفَعُكَ» (الحكمة ٤٥٨).

كان بالإمكان أن يقبل الإمام علي، فيما يتعلق بالمجلس المكون من ستة أشخاص، الشرط الثالث لابن عوف نظرًا لاستكمال حجته والظروف التي حدثت، وذلك من خلال الكذب لمصلحة نفسه، وبالتالي كان بإمكانه أن يصل إلى الخلافة، لكنه لم يكن على استعداد للكذب حتى لو كان ذلك سيؤدي إلى أقصى فائدة عامة.

٤. النتيجة

وفقًا لما تقدم ذكره، نستنتج أن مؤشرات الأخلاق الغائية في نهج البلاغة تشمل وجود علاقة بين الوجود والواجبات والضرورات الأخلاقية، وثمار الأعمال ونتائجها، ومعايير ضرورة القيام بها، والأخروية. في مدرسة علي (ع) الأخلاقية (ع)، طالما تم إيلاء الاهتمام إلى غايات الأفعال الأخلاقية، ولم يُنظر أبدًا إلى البشر كوسيلة لتحقيق أرباح أكبر وتغلب الخير على الشر، ولم يتم انتهاك القانون حتى لو كان ذلك يؤدي إلى أكبر منفعة عامة، وبالتالي، على الرغم من المفاهيم القائمة على الغائية الأخلاقية في نهج البلاغة، فلا يمكن أن تنطبق هذه المدرسة الأخلاقية تمامًا على وجهة النظر الأخلاقية للإمام علي في نهج البلاغة.

الهوامش

١. أحد فروع الأخلاقيات، والذي يتناول دراسة طبيعة

أشار الإمام علي (ع) في مواضع متعددة من نهج البلاغة إلى قضية غاية الأعمال والثواب والعقاب: «وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا هَيَّ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْبُعْثِ وَالْعُدْوَانِ عِقَابٌ يُخَافُ لَكَانَ فِي ثَوَابِ اجْتِنَابِهِ مَا لَا عُدْرَ فِي تَرْكِ طَلَبِهِ». (الرسالة ٥١) لذلك يحذر من تمرد الإنسان وعصيانه لخالقه: «فَاللَّهُ اللَّهُ فِي عَاجِلِ الْبُعْثِ وَ آجِلِ وَخَامَةِ الظُّلُمِ» (الخطبة ١٩٢).

ونتيجة لذلك، فإن أحد القوانين التي يحكم نظام الخلق يتمثل في غاية نظام الخلق الذي يتحرك في ظل خطة حكيمة نحو غاية نهائية. ويلعب هذا الإيمان بالقيامة دورًا مهمًا في تشكيل وتوجيه الأفعال والسلوكيات البشرية، وبما أن الرغبة في الخلود قد تم زرعها بشكل طبيعي في وجود البشر، فإن الموت هو من ناحية غاية الحياة في العالم، ومن ناحية أخرى فهو جسر إلى الغاية النهائية للبشرية وحياتها الأبدية، بالنظر إلى أهمية نتائج الفعل الأخلاقي من وجهة نظر نهر البلاغة، يكون لوجود العقاب والثواب مغزى، والأخروية هي أحد مؤشرات الغائية في مدرسة علي (ع) الأخلاقية (ع).

٣. دراسة وجهة نظر الأخلاق الغائية الربحية في نهج البلاغة

الربحية الأخلاقية أحد أهم الأفكار في مدرسة الغائية الأخلاقية. في هذا الموقف، إلى جانب النظر في نتائج فعل واحد وتعظيم تفوق الخير تجاه الشر، يبرر الهدف وسيلة تحقيقه (مورنر، ١٣٨٥: ٧٨). والقيمة هي تعظيم الخير والبشر والأفراد والعلاقات الإنسانية كأسباب وجبهة لاستخدامها كوسيلة لكسب الريح.

من خلال دراسة مدرسة علي (ع) الأخلاقية (ع) في نهج البلاغة، فقد تم حظر هذه الميزة والنهي عنها، مما يعني أن الأئمة لم يكونوا أبدًا على استعداد لاستخدام طرق ووسائل ارتكاب الأخطاء وانتهاك العدالة لكسب المزيد من الأرباح: «إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ وَإِنْ نَقَصَهُ وَكَرَّهَتْهُ مِنَ الْبَاطِلِ وَ إِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَايْدَةً وَ زَادَهُ». (كلام ١٢٥).

يؤكد الإمام علي (ع) هنا على تجنب الباطل وكل ما ينتهك الحق حتى لو كان هناك ربح للإنسان، فالإنسان

ومنهجية الحكم الأخلاقي، ويسمى ما بعد الأخلاق (جونسلر، ٢٠٠٨: ٣١).

٢. إحدى سمات مدرسة الغائية الأخلاقية، والتي تمت مناقشتها في مجال ما وراء الأخلاقيات، هي وجود العلاقة بين الوجود والواجبات. في هذا المنظور، يجب الاستدلال من الوجود. نظرًا لأن الكلمة في المفاهيم أخلاقية وما إلى ذلك، يجب أن تشير إلى العلاقة بين فعل الفاعل (العلة) والنتيجة (المعلول). من أجل تحقيق هذه النتيجة، يجب أن تتحقق العلة وفعالها (فعل الفاعل). وبعبارة أخرى، فإن تحقق العلة وفعالها (فعل الفاعل) ضروري في ظرفها الخاص ضروري لتحقيق النتيجة في ظرفها. إن العلة العددية ضرورية بالمقارنة مع معلولها. ومع هذا التفسير للغائية الأخلاقية، في إطار القياس المنطقي، يمكننا استنتاج المفاهيم الأخلاقية التي تحتوي على مفهوم الواجبات من المفاهيم غير الأخلاقية، على سبيل المثال: إذا أراد شخص ما أن يصل إلى الكمال (الريح، القوة، وما إلى ذلك)، فيجب أن يكون أمينًا.

لكنني أريد أن أصل إلى الكمال. لذلك يجب أن أكون أمينًا. يمكن للمرء أيضًا استخدام كلمة يجب للإشارة إلى العلاقة بين ضرورة القياس بين ضرورة النتيجة وضرورة الفعل التي تعتبر مقدمة لها. بهذا المعنى، إذا كانت النتيجة مرغوبة، فيجب أن تكون مقدمتها مرغوبة أيضًا. إذا كان الكمال (الريح، القوة، إلخ) مطلوبًا، فمن المفترض أن تكون الأمانة مطلوبة.

لكن الكمال (الريح، القوة، إلخ) أمر مطلوب. لذلك فإن الأمانة مطلوبة بالضرورة.

وبالتالي، فإن الواجبات والضرورات في المفاهيم الأخلاقية وما شابه ذلك، تعني ضرورة العلاقة بين فعل الموضوع (العلة) ونتيجته، ومن الممكن استخدام معنى ضرورة النتيجة بين فائدة النتيجة لموضوع ما وفائدة الفعل بالنسبة للموضوع. (يرجى الرجوع إلى المقالة "استنتاج الضرورة من الوجود" من تأليف السيد حبيب دشتي، مجلة معرفت أخلاقي، العدد ١٦، ١٣٩٣، صص ١٣٢-١٣٣). كما أن القيم والخير والأخلاق تستند إلى تحليل صحيح يعتمد على المعرفة والوجود.

٣. ومن الخطب الأخرى التي تشير إلى وجود الإنسان:

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزَنِ الْأَرْضِ وَ سَهَّلَهَا وَ عَذَّبَهَا وَ سَبَّحَهَا ثُرْتُهُ سَنَهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ وَ لَاطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةَ ذَاتِ أَخْنَاءٍ وَ وُضُولٍ وَ أَعْضَاءٍ وَ فُضُولٍ أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ وَ أَصْلَدَهَا حَتَّى صَلَصَلَتْ لَوْقَبِ

مَعْدُودٍ وَ أَمَدٍ أَجَلَ مَعْلُومٍ ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثَلَتْ فَمَثَلَتْ إِنْسَانًا ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا وَ فِكْرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا وَ جَوَارِحَ يَحْتَدِمُهَا خَطْبَةً أَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا وَ مَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ وَ الْأَذْوَاقِ وَ الْمَشَامِ وَ الْأَلْوَانِ وَ الْأَجْنَاسِ خَطْبَةً مَعْجُونًا بِطِينَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ وَ الْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ وَ الْأَصْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ وَ الْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ مِنَ الْحَرِّ وَ الْبَرْدِ وَ الْبَلَّةِ وَ الْجُمُودِ وَ الْمَسَاءَةِ وَ السُّرُورِ (خ ١).

جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعًا لَتَعْبَى مَا عَنَاهَا وَ أَبْصَارًا لَتَجْلُو عَنْ عَشَاهَا وَ أَشْيَاءَ جَابِغَةً لِأَعْضَائِهَا مُلَانِمَةً لِأَخْنَائِهَا فِي تَرْكِيْبِ صُورِهَا وَ مَدَدٍ عُيْرَهَا بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا وَ قُلُوبٍ زَائِدَةٍ لِأَرْزَاقِهَا (خ ٨٣).

المصادر

القرآن الكريم.

ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد (١٣٧٥ش). صورة التاريخ في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد. المترجم: محمود مهدي الدامغاني، طهران: دار في للنشر.

جعفري، محمدتقي (١٣٦٠ش). ترجمة و تفسير نهج البلاغة. طهران: مكتب الثقافة الإسلامية للنشر.

جعفري، السيد محمد مهدي (١٣٨١ش). ضوء من نهج البلاغة، طهران: وزارة الثقافة و الإرشاد الإسلامي

جوادى الآملى، عبدالله (١٣٨٠ش). المعاد في القرآن. قم: دار إسرائ.

— (١٣٨٤ش). تفسير الإنسان بالإنسان. قم: دار إسرائ. جيكونز، جانانان. آ. (١٣٩٦ش). معجم مصطلحات

فلسفة الأخلاق. المترجم: السيد محمد علي تقوي، زهره علوي، طهران: دار جباري.

دشتي، حبيب (١٣٩٣). «استنتاج الوجوب من الكون». مجلة المعرفة الأخلاقية، الرقم ١٦

دلشاد طهراني، مصطفى (١٣٩١ش). وجه الشمس: سيرة الإمام علي (ع) في نهج البلاغة. طهران: دار دريا.

ربيعي، شمس الدين (١٣٦٠ش). علي (ع) نسخة المعيار التوحيدى. د. مكا، مركز الست للخدمات الثقافية

السيد رضى (١٣٨٠ش). نهج البلاغة. المترجم: سيد جعفر شهيدى، على أساس نسخة صبحي الصالح

صوفي، التبريزي، ملاعبد الباقي (١٣٧٨ش). منهاج الولاية في شرح نهج البلاغة. طهران: دار آينه ميراث التابعة بمركز

نشر الميراث المكتوب.

غنسلر، هري. جي. (١٣٨٧هـ). تعرف جديد على فلسفة الأخلاق. المترجم: حميد بحريني، المنقح: مصطفى ملكيان، طهران: دار آسمان خيال.

فرانكنا، ويليام (١٣٩٢هـ). فلسفة الأخلاق. المترجم: هادي صادقي، قم: دار كتاب طه

قرباني، زين العابدين (١٣٨٩هـ). «المعاد». الموسوعة العلوية. تحت إشراف علي أكبر رشاد، مجمع الثقافة والفكر الإسلامي.

لارنس، سي بكر (١٣٨٠هـ). «الإفادة». فلسفة الأخلاق: مجموعة المقالات المأخوذة من دائرة المعارف بفلسفة الأخلاق. المترجم: امير خوا، قم: مؤسسة إمام الخميني التعليمية البحوثية.

محمد رضائي، مهدي؛ مهدي رضائي، محمد (١٣٩٣هـ). «دراسة مباني فلسفة الأخلاق المفيدة في مؤسسة مقايسة

نظام الأخلاق المفيدة مع ميثاق مؤسسة الأخلاقي العالمي». مجلة البحوث الأخلاقية، الرقم ١٧.

معلمي، حسن (١٣٧٩هـ). «رابطه الوجوب والكون من منظور الإمام علي (ع)». مجلة المعرفة، الرقم ٣٩.

— (١٣٨٠هـ). مباني الأخلاق في فلسفتي الغرب والإسلام. طهران: مؤسسة دانش و اندیشه الثقافية المعاصرة.

موسى زاده، زهره؛ عدلي، مريم (١٣٨٨هـ). «معايير انتخاب المدراء باتجاه انتخاب الصالح». مجلة فكر المديرية الاستراتيجية، الرقم ٥.

مونر، دي. اچ. (١٣٨٥هـ). «مكتب أصالة الفائدة». المترجم السيد حسين مير جليلي، المجلة اقتصادية، الرقمان ٦١ و ٦٢.

هولمز، رابرت ال. (١٣٨٥هـ). مباني فلسفة الأخلاق. المترجم مسعود عليا. طهران: دار ققنوس.